(١٠)

صحة العقيدة

أساس للصحة النفسية

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تعالى فى سورة الحديد:

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

* هاتان الآيتان من سورة الحديد هما الأساس للصحة النفسية والتوازن النفسى للمؤمنين ومن اهتدى بهديهما يكون من أصحاب النفس المطمئنة التى أشار الله إليها فى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

* فالآية الأولى يقرر الله ـ تعالى ـ فيها حقيقة من حقائق العقيدة، وهى أن ما يحدث من أقدار الله فى الأرض وفى ذات الأنفس من خير أو شر، فقد سبق لله أن كتبها فى اللوح المحفوظ وقضاها منذ الأزل وإلى الأبد وهو أمر يسير على الله ـ عز وجل ـ الذى ليس عنده فيما يريد يسير وعسير فإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]. وكما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول فى أذكار الصباح والمساء: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» أخرجه أبو داود والنسائي/ تحفة الذاكرين للإمام الشوكانى. وكما قال علماء العقيدة أن الله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن إذا كان كيف يكون. وقد قضى بعلمه وحكمته كل ما كان وما سوف يكون. وكل ما فى الأمر أن ما لم يكن بعد فهو من غيب الله تعالى، فإذا أراد أن يكون كشف عنه غطاء الغيب فأظهره وقدّره فأصبح مشهودًا .. إنها أمور يبديها ولا يبتديها .. أى لا يقدرها لحظة وقوعها ولكنها مقدرة منذ الأزل .. وهذا هو معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام فى نهاية الحديث المشهور: «... رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذى عن ابن عباس ﷺ .

* إن هذه الحقيقة الاعتقادية المقررة فى الآية الأولى .. هى مقدمة لازمة للآية الثانية، وبدونها يصعب علينا فهم وتنفيذ النهى الوارد فى هذه الآية الثانية ﴿ لِكَيْلا

﴿تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ .. فكيف لا نفرح ولا نحزن .. والفرح والحزن مشاعر إنسانية لا سبيل لإنكارها أو إلغائها لأنها واقع يلحظه ويشعر به كل إنسان؟! إن خير إجابة على هذا السؤال هي قول واحد ممن تربوا في مدرسة النبوة واختصه الرسول عليه الصلاة والسلام بكثير من العلم منذ أن قال له: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ...» رواه الترمذي، ومنذ دعا له فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل». ولعلنا عرفنا أنه ابن عباس ﷺ الذي قال ما يعتبر خير إجابة على هذا السؤال الذي طرحناه: «ليس من أحد إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل من مصيبته صبراً وغنيمته شكراً». وصدق ابن عباس ﷺ فيما قال فالإسلام هو دين الفطرة وبالتالي فإنه لا يمكن أن يتصادم معها، ومن الفطرة مشاعر الفرح والحزن وقد فرح وحزن الرسل والأنبياء والصالحون. واستكمالاً لشرح المعنى المقصود للآية استمع إلى من علّم ابن عباس ﷺ وعلّم أصحابه وعلّم البشرية جمعاء .. رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام: «عجباً لأمر المؤمن إن أمرَهُ له كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر فكان خيراً له» رواه مسلم عن صهيب بن سنان ﷺ . وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام تعجب لأمر المؤمن فلنا أن نتعجب مثله، ولكن هذا العجب سوف يزول ـ لأن عجب الرسول ما هو إلا وسيلة لشد الانتباه ولفت الأنظار ـ إذا تدبرنا معنى الحديث .. فالسراء يفرح لها المؤمن ولكن شعور الفرح عنده يتحول إلى شكر لله فهو الذي سره وهو الذي أفرحه، والضراء يحزن لها المؤمن ولكن شعور الحزن عنده يتحول إلى صبر ابتغاء وجه ربه كشأن أولي الألباب الذين قال الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ...﴾ [الرعد: ٢٢]. فهم يعلمون أن الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣]. ويعلمون قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وشكر المؤمن على السراء يؤجر عليه، وصبر المؤمن على الضراء يؤجر عليه .. يوم

القيامة. ومادام الأمر كذلك فلا فرق عند المؤمن أن يحصل على أجره عند الله يوم القيامة من شكر على سراء أو صبر على ضراء .. لذلك كان أمره له كله خير، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن الذى استوعب الحقيقة الاعتقادية التى قررها الله ـ تعالى ـ فى الآية الأولى .. فهل زال عنا العجب؟ .. لا شك أنه قد زال .. ولا شك أيضًا أن هذا المؤمن قد أصبح محصناً ضد الأمراض النفسية التى تصيب غيره من تقلب الأحوال بين الفرح والحزن، والسراء والضراء، والخير والشر، كما أنه أصبح محصناً من الإصابة بالخيلاء والفخر لأنه لا ينسب أى أمر إلى نفسه، فإلى الله تُرجع الأمور، فهو خالق الأسباب وهو الذى يقدر نتائجها ولا يقع فى ملكه إلا ما يشاء وما يريد .. ولا حول ولا قوة إلا بالله. فإذا حدث للمؤمن ما يدعوه للفرح فهو لا يفرح فرحًا شديداً يخرجه عن اتزانه ووقاره وسكينته، وكذلك إذا حدث ما يدعوه للحزن .. فهو راض بمشيئة الله تعالى ويقول فى كافة أحواله: قدر الله وما شاء فعل .. مع اليقين بأن الله لا يقدر إلا الخير. ولعلنا عرفنا الآن لماذا خُتمت الآية الثانية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ .. ويكفى للمؤمن زجراً ـ وهو الذى يسعى لنوال محبة الله ـ أن يعرف أن الله لا يحب كل مختال فخور، ولذلك كان مما قاله لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

* قيل للإمام أحمد عمن معه مال: هل يكون زاهداً؟ قال: إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصانه فهو زاهد.

* وقيل لحكيم: مالك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت؟ قال: لأن الفائت لا يُتلافى بالعبرة، والآتى لا يستدام بالحبرة. (العبرة: الحزن، الحبرة: الفرح).

* قال الإمام جعفر الصادق: «يا ابن آدم تأسى على مفقود لا يرده عليك الفوت، أو تفرح بموجود لا يتركه بين يديك الموت».

وهناك كثير من الأقوال لغير هؤلاء ممن شرح الله صدورهم لحقائق العقيدة الصحيحة وأنار لهم أبصارهم وبصائرهم .. ففهموا وأفهموا، وعرفوا وعرّفوا، واستمعوا

وقالوا هذه الأقوال التى خرجت من مشكاة واحدة .. مشكاة العقيدة الصحيحة.

هذا هو الطريق إلى الصحة النفسية ولا طريق سواه، فبعد أن صحّت للمؤمن عقيدته، صحّت له نفسه وبرأ من الأمراض النفسية التى تصيب غيره، وهى أمراض تشيع فى عصرنا هذا نتيجة للعقائد الباطلة، والأفكار الهدامة التى تقود معتنقيها ـ كما نقرأ بين الحين والحين ـ إلى الانتحار الجماعى. علاوة على حوادث الانتحار الفردى التى وصلت إلى نسب مزعجة فى بلاد الغرب الذى أسرف فى ماديته فأشبع الجسد بكل أنواع المتع والملذات وانغمس فى الشهوات، وترك الروح جوعانة، وأصبحت مجتمعات الغرب تعانى من الخواء الروحى واختل توازنها النفسى على المستوى الفردى والأسرى والجماعى وشاعت فيهم الأمراض النفسية وحوادث العنف والاغتصاب والشذوذ الجنسى، والمخدرات بأنواعها إلى جانب المسكرات، ثم أخيراً الأمراض الجسدية المستعصية مثل الإيدز .. ووسط كل هذا الخضم الهائل من التيه والضلال والفساد يفقد الفرد رغبته فى مواصلة الحياة فيقرر التخلص منها باعتبار أن الحياة أصبحت هى الداء وبالتالى فإن الموت هو الدواء .. وفى هذا المعنى قال أبو العلاء المعرى:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فلا تكون المنية أمنية إلا عند من سقمت نفسه وجفت روحه.

ونسأل الله العفو والعافية، والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة.

(١١)

عذاب أهل النار
ونعيم أهل الجنة

obeikandl.com

obeikandl.com

لقد وصف الله ـ تعالى ـ عذاب أهل النار، ونعيم أهل الجنة فى كثير من سور القرآن الكريم بما يتفق مع جو كل سورة والسياق الذى يقع فيه هذا الوصف لكى يؤتى أثره المطلوب فى الترهيب من عذاب النار، والترغيب فى نعيم الجنة.

وقد يقع الإنسان فى حيرة شديدة إذا أراد أن يقدم نموذجًا من نماذج عذاب أهل النار ونعيم أهل الجنة، فأيها يقدم وأيها يؤخر، وأيها يختار وأيها يدع. فإن كان ولابد فقد وقع اختيارى على آيات بينات من سورة الدخان، وكان سبب هذا الاختيار أن الوصف جاء مختصراً فى آيات قصيرة ولكنها موحية بشدة العذاب، وحلاوة النعيم. ومن يتدبر هذه الآيات يشعر بلفحة العذاب، ونداوة النعيم.

عذاب أهل النار :

يقول تعالى فى سورة الدخان :

* ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٥٠].

إن الأكل من شجرة الزقوم لون من ألوان عذاب أهل النار، ولقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم ثلاث مرات، منها هذه السورة، وسورة الصافات، وسورة الواقعة كالتالى :

* ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٦٢ - ٦٨].

* ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ

﴿٥٥﴾ هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٦].

إن الوصف القرآنى لشجرة الزقوم يغنى عن كل شرح، وما نستطيع أن نقوله أن شجرة الزقوم طعام الأثيم، وفتنة للظالمين، وسوف يأكل منها الضالون المكذبون. وحيث إنه بعد الأكل لابد من شرب وخاصة فى هذه الحالة لأن الأكل من شجرة الزقوم إذا نزل فى البطون يغلى كالمعدن المنصهر فيحتاج إلى الماء لإطفاء لهيبه، ولا يجد هؤلاء المناكيد غير الماء المغلى لإطفاء المعدن المنصهر فى بطونهم .. أى لهيب على لهيب. وبعد هذه الوجبة من الطعام والشراب الملتهب يسحب هؤلاء وهم كتلة من اللهب بكل المهانة والذلة إلى وسط الجحيم حيث شدة استعار النار .. فالنار فى داخلهم، والنار تصب فوق رؤوسهم، والنار تحيط بهم من كل جانب .. فهل بعد ذلك من عذاب؟ وهل بعد ذلك من وصف؟ .. نعم هناك لون آخر من العذاب، فالعذاب الذى سبق وصفه عذاب مادى يصيب الجسد، يضاف إليه عذاب معنوى يصيب النفس ويتمثل هذا فى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾.

وما ينطوى عليه هذا الكلام من تقريع وتوبيخ لهؤلاء الذين استعزوا بغير الله فى الدنيا فأذلهم الله فى الآخرة، وسعوا إلى الكرامة فى الدنيا عن غير طريق التقوى ﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ... ﴾ [الحجرات: ١٣]. فأهانهم الله فى الآخرة، مثل هذا الذى قال فى الدنيا: ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٦]. فهل صدق ظنه ؟

حقًا ﴿ ... إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [يونس: ٣٦]. لقد جمع الله لأهل النار كل ألوان العذاب المادى والمعنوى ثم قال لهم فى النهاية: ﴿ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾.

أى أن هذا العذاب هو ما كنتم به تشكون وتكذبون. فهل علمتم الآن أن الله حق، وأن الملائكة حق، وأن الكتب حق، وأن الرسل حق، وأن اليوم الآخر حق ؟؟

حقًا .. ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]. وهذا يذكرنا بما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام لأهل القليب من قتلى الكفار فى غزوة بدر: «لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا».

فقد وعد الله الرسول عليه الصلاة والسلام بالنصر وقد وجده هو وأصحابه فى عالم الشهادة، فهل وجد هؤلاء الكفار من قتلى بدر ما توعدهم الله به فى عالم الغيب وهم راقدون تحت التراب؟

إنه سؤال لم يكن يحتاج إلى جواب .. لأن الغيب والشهادة سواء عند المؤمنين.

ومصداقًا لهذا الذى حدث فى الدنيا يقول تعالى على لسان أصحاب الجنة فى الآخرة: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٤، ٤٥].

حقًا .. فلعنة الله على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، ولعنة الله على الكافرين الذين كفروا بالله واليوم الآخر ظلماً وعدواناً.

ونستعيذ بالله من النار، وعذاب أهل النار.

نعيم أهل الجنة :

يقول تعالى فى سورة الدخان :

* ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الدخان: ٥١ - ٥٧].

بعد هذا اللهيب الذى يحيط بالكافرين والمكذبين من كل جانب فى جهنم .. تعالوا بنا نرتع فى رياض الجنة مع المتقين .. ونسأل الله تعالى أن نكون منهم.

وأول هذا النعيم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ هو الإقامة الآمنة حيث لا خوف ولا حزن ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. إنها ليست مجرد إقامة، ولكنه مقام .. أى مكانة، والتعبير يوحى بالتكريم والتشريف، والعلو والارتفاع .. فالجنة درجات، والدرجات صاعدة إلى أن تصل إلى الفردوس الأعلى حيث الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

وثانى هذا النعيم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ هو الطعام والشراب، فالطعام من الجنات والشراب من العيون، وهذا ترتيب طبيعى لاحتياجات الإنسان، فبعد توفير الإقامة والسكن يحتاج إلى الأكل والشرب واستمع إلى قوله تعالى عمن يؤتى كتابه بيمينه: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢١ - ٢٤].

وثالث هذا النعيم ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ هو الملبس وهو احتياج أساسى للإنسان بعد المسكن والمأكل والمشرب، وإن كان يتخذ فى الدنيا لاتقاء الحر أو البرد ولستر العورة وللزينة، فإنه فى الجنة للتنعيم والزينة حيث لا حر ولا برد ولا عورة، كما أنه من الحرير رقيقه وسميكه وهو ما كان محرمًا على الرجال فى الدنيا. ويضاف إلى هذا النعيم تحابب أهل الجنة فهم متقابلون كشأن المتحابين وليسوا متدابرين كشأن المتخاصمين.

مصداقًا لقوله تعالى عن «السابقون السابقون»: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٥، ١٦].

ورابع هذا النعيم ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ هو الزوجة حيث تسكن النفس وتتبادل مشاعر المودة والرحمة .. ولقد كان الأمر فى الدنيا مقصوراً على زوجة

واحدة إذا خيف عدم العدل، أو التعدد بحد أقصى أربع زوجات وما يجلبه هذا التعدد من مشكلات بين الضرائر. أما فى الجنة فالزوجة زوجات من الحور العين وصفهن الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٨]. ووصفهن الرسول عليه الصلاة والسلام ضمن حديث عن نعيم أهل الجنة: «ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهن قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشياً» رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه .

وخامس هذا النعيم ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ هو التفكه بفاكهة الجنة وتأتى الفاكهة فى ترتيبها الطبيعى من الاحتياجات الأساسية للإنسان، فهى ليست من الضروريات، ولذلك جاءت بعد المسكن والمأكل والمشرب والملبس والزوجة، وهذا الترتيب لأن الإنسان مخاطب به فى الدنيا فجاء على نسق أولويات احتياجاته فى الدنيا، أما فى الجنة فالأمر ليس كذلك فلقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾» متفق عليه عن أبى هريرة رضي الله عنه .

فكل ما فيها من نعيم ومتاع متوافر فى كل وقت وحين بمجرد الرغبة، وليس فيها ضروريات وكماليات ولكن ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] .. إنها الجنة وكفى.

ويضيف الله تعالى إلى التفكه بفاكهة الجنة قوله: ﴿آمِنِينَ﴾. وقد سبق ذكر الأمن مع أول نعمة من نعيم الجنة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

فهل هناك تكرار فى المعنى؟ ..هذا ما سوف نجيب عليه فى النعمة التالية.

وسادس هذا النعيم ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ هو أنهم آمنون فلا يزول عنهم النعيم لأنه خالد، ولا يزولون هم

عن النعيم بالموت فهم خالدون .. فالجنة جنة الخلد مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الفرقان: ١٥]. وأهل الجنة «خالدين فيها» مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]. فهم لا يتحولون عنها ولا يبغون ذلك، وهى أيضًا لا تتحول عنهم لأنها جنة الخلد. وهذا ما يتميز به نعيم الجنة الدائم عن نعيم الدنيا الزائل فأنعم أهل الأرض لا يأمن أن يزول عنه ما فيه من نعيم، فإذا افترضنا جدلاً أنه أمن ألا يزول عنه هذا النعيم، فإنه لا يأمن أن يزول هو عن هذا النعيم بالموت مصداقًا لقوله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وبذلك تتضح إجابة السؤال الذى سبق أن طرحناه .. بأنه لا يوجد تكرار فى ذكر الأمن فى الآية (٥١)، والآية (٥٥)، فالأمن فى الآية الأولى يعنى الأمن من الخوف والأمن فى الآية الثانية يعنى الأمن من الموت .. الذى يوصف بأنه هادم اللذات ومفرق الجماعات.

وجاءت الآية (٥٦) تفسر ذلك بقوله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ .. فلا موت إلا الموتة الأولى، أى موتة الدنيا. وحيث أن عدم ذوق الموت بعد البعث أمر يشترك فيه أصحاب الجنة، وأصحاب النار، ولا يتميز به أصحاب الجنة لذلك قال تعالى: ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾. أما أصحاب النار من الأشقياء فيقول تعالى عن الواحد منهم: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٢، ١٣]. فلا ينال الموت لكى يستريح ولا حياة العذاب تسمى حياة إذا قيست بحياة النعيم.

وسابع هذا النعيم .. ﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .. فهو فضل من الرب قد تفضل به على عباده الصالحين من أهل الجنة .. وهو نعيم آخر ولكنه نعيم معنوى لإحساس المنعمين بأن الذى تفضل به هو رب العالمين .. ولتوضيح هذا

اللون من ألوان النعيم نقول: أن كثيراً ما يحصل الناس فى الدنيا على جوائز ولكن هناك فرق بين جائزة يقدمها رئيس العمل وجائزة يقدمها رئيس الجمهورية أو الملك أو الوزير .. وكلها جوائز تدخل فى دائرة أن بشراً يكافئ ويجازى بشراً. أما أن يتفضل رب العالمين وخالق السماوات والأرض على مخلوق من خلقه بالجنة ونعيمها .. فإن هذا التفضل نعيم وحده .. ويا له من نعيم معنوى يضاف إلى ألوان النعيم الحسية التى سبقته فى الذكر .. وقد وصف الله هذا وذاك النعيم بأنه ﴿ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

ونسأل الله ـ تعالى ـ أن نكون من أهل هذا الفضل الكبير، وذلك الفوز العظيم.

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٢)

بم دخل أصحاب الجنة .. الجنة ؟

وبم دخل أصحاب النار .. النار ؟

obeikandl.com

obeikandl.com

لقد تكرر كثيراً فى القرآن الكريم الأسباب التى ذكرها الله ـ تعالى ـ لدخول أصحاب الجنة للجنة، ودخول أصحاب النار للنار. وقد أجمل الله ـ تعالى ـ أسباب دخول الجنة فى الإيمان والعمل الصالح وتكرر فى أكثر من ستين موضعًا فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]. وفصَّل أسباب دخول الجنة فى مواضع أخرى مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٩].

كذلك أجمل الله ـ تعالى ـ أسباب دخول النار فى الكفر والتكذيب بآيات الله وكرر ذلك كثيراً فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]. وفصَّل أسباب دخول النار فى مواضع أخرى مثل قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤، ٤٥]. ويتفرع عن هذه الأسباب المذكورة فى الآية كثير من الأسباب مثل الشرك والنفاق والظلم والاستكبار والفساد والفسق والعصيان .. وغير ذلك من الأسباب المذكورة تفصيلاً فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

إن ما ذكرناه من أسباب لدخول الجنة أو لدخول النار .. هى الأسباب والحيثيات التى يخبرنا بها الله تعالى، ولكن ما هى هذه الأسباب والحيثيات كما يقولها ويبديها أصحاب الجنة وأصحاب النار؟

لقد ذُكرت هذه الأسباب والحيثيات فى بعض آيات القرآن الكريم .. نذكر منها ما يلى :

أولاً : يقول تعالى فى سورة الطور :

* ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

لقد سبق هذه الآيات فى السورة بعض ألوان النعيم التى تفضل بها الله تعالى على عباده المتقين نذكر منها ..

* ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور: ١٧ - ٢٠].

* ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾.

[الطور: ٢٢ - ٢٤].

وفى ظلال هذا النعيم يتسامر أصحاب الجنة ويذكرون الأسباب والحيثيات التى قادتهم إلى الجنة ونعيمها .. وذكروا منها سببين هما :

الأول : ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ :

أى خائفين من عذاب الله ـ تعالى ـ فحرصنا على أن تكون أعمالنا فى الدنيا صالحة طمعًا فى ثواب الله وخوفًا من عقابه. وهذا دائمًا شأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويتأكد هذا المعنى فى كثير من آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى :

* ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ... ﴾.

[السجدة: ١٦].

* ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

* ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: ١٢].

* ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وقد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام على تنمية الشعور بالخوف من عقاب الله وعذابه ـ مع وجود الرجاء فى ثواب الله ونعيمه ـ فى كثير من الأحاديث نذكر منها :

* « والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصُعدات تجأرون إلى الله تعالى» الصُعدات: الطرق. رواه الترمذى عن أبى هريرة ﷺ .. ويسند لهما الحديث التالى أيضاً.

* «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل».

أدلج: من سار من أول الليل والمراد التشمير فى الطاعة.

بلغ المنزل: أى بلغ الغاية، والغاية هى الجنة.

وصدق على بن أبى طالب ﷺ عندما عرّف التقوى بقوله: «الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

وصدق من قال أيضاً: «من خاف سلم» .. سلم فى الدنيا والآخرة.

الثاني : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ :

أى أنهم كانوا فى الدنيا دائمى الذكر لله، ويسألونه فى كل أمر، ويرجعون إليه فى كل شىء، ويستعينون به فى كل سعى، ويدعونه فى كل أحوالهم، فهو الله ربهم، ولا حول ولا قوة إلا به، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال:

* «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة. قال: بلى يا رسول الله. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة» رواه مسلم عن أبى موسى الأشعرى ﷺ .

وصدق حيث قال لابن عباس ﷺ :

* «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» رواه الترمذى.

والدعاء ركن كبير من أركان العبادة بل إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال عنه أنه العبادة فى الحديث الذى يرويه النعمان بن بشير ﷺ : «الدعاء هو العبادة. ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].رواه أهل السنن الأربعة وابن حبان فى صحيحه. وروى الترمذى عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة».

ومقتضى هذه الأحاديث أن الدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها. كما أفادت الآية التى ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام فى متن الحديث أن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، والاستكبار من أكبر الذنوب وأخطرها .. وما كان إبليس إبليساً إلا بهذا الاستكبار مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ ... أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣].

وعن الدعاء أيضًا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السماوات والأرض» أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أبى هريرة ﷺ .

ولقد ترك لنا الرسول عليه الصلاة والسلام ثروة ضخمة من الأدعية المأثورة تغطى كل أحوال المسلم فى حله وترحاله، فى سكونه وحركته، فى عباداته ومعاملاته، فى شغله وفراغه، فى سرائه وضرائه، فى رخائه وشدته، فى يسره وعسره. وهذه الأدعية تضمن له أن يكون ذاكراً لله على الدوام، وهى سياج يحميه من وسوسة الشياطين ومن الغفلة مصداقًا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس» أخرجه البخارى معلقاً عن ابن عباس ﷺ.

ويكفى للذكر فضلاً أن الله ـ تعالى ـ يذكر من يذكره مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقوله سبحانه فيما يرويه عنه الرسول عليه الصلاة والسلام: «أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأٍ ذكرته فى ملأٍ

خيرٍ منه، متفق عليه عن أبي هريرة ﷺ .

فيا أيها المسلم إن كنت تريد أن تكون من أصحاب الجنة ـ وكلنا نريد طبعًا ـ فإن أصحاب الجنة يدلونك على الطريق وهو ..

* أن تكون في أهلك في الدنيا مشفقًا من غضب الله وعذابه في الآخرة، حتى يمن عليك ويقيك عذاب السموم .. وقانا الله وإياك منها.

* أن تكون داعيًا لله ـ تعالى ـ وحده، ولا تستكبر عن دعائه، فالدعاء هو العبادة وأن تكون مداومًا على ذكر الله تبارك وتعالى، فالذكر مانع للغفلة، وطارد للشياطين وجالب لمرضاة رب العالمين .. إنه هو البر الرحيم.

ثانيًا : يقول تعالى في سورة المدثر :

* ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٧].

لقد أسلفنا ذكر الأسباب والحيثيات التي أبداها أصحاب الجنة لدخولهم الجنة، وجاء الدور على أصحاب النار لكي يوضحوا أسباب وحيثيات دخولهم النار.

ويمكن تصنيف هذه الأسباب والحيثيات كالآتي :

١ ـ أسباب تتعلق بالعبادات :

﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾.

٢ ـ أسباب تتعلق بالقربات :

﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾.

٣ ـ أسباب تتعلق بالمعاملات :

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾.

٤ ـ أسباب تتعلق بالعقائد :

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾.

كما يمكن تصنيف هذه الأسباب بطريقة أخرى كالآتى :

١ ـ أسباب تتعلق بالصلة بالله :

﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾.

٢ ـ أسباب تتعلق بالصلة بعباد الله :

﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾.

٣ ـ أسباب تتعلق بدين الله :

﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾.

ويتضح من هذا التصنيف وذاك أن هؤلاء المجرمين تركوا العبادات وبالأحرى القربات وأساءوا المعاملات، وأنكروا البعث والحساب .. وهذا السبب الأخير هو السبب الرئيس والأساس فى إجرامهم وضلالهم وبالتالى دخولهم النار. كما أنهم قطعوا الصلة بالله، أما صلتهم بالناس فهى تتصل إذا كانت للشر والخوض مع الخائضين، وتنقطع إذا كانت للخير مثل إطعام المساكين، وأما صلتهم بدين الله فقد أنكروا البعث والحساب وهو محور الدين، لذلك أسماه الله بيوم الدين.

فيا أيها المسلم، يا من أسلمت وجهك لله .. إن كان مطلوبًا منك لكى تكون من أصحاب الجنة أن تكون فى أهلك فى الدنيا مشفقًا من عذاب الله فى الآخرة، وأن تكون داعيًا إلى الله ولا تستكبر عن دعائه، وأن تكون مداومًا على ذكر الله تبارك وتعالى. فإنه مطلوب منك لكى لا تكون من أصحاب النار أن تحرص على العبادات والقربات، وتحسن المعاملات، وتوقن بلقاء الله عز وجل. كذلك عليك أن توثق الصلة بالله تعالى ومن أهم وسائلها الصلاة، وأن تحسن الصلة بعباد الله فتسارع بالمساهمة

فى الخير مثل إطعام المساكين، وأن تمتنع عن المساهمة فى الشر مثل الخوض مع الخائضين فيما لا يجوز الخوض فيه، وسوف يعينك على كل ذلك اليقين بلقاء الله تعالى فى يوم الدين .. فهو يوم لا ريب فيه.

وعليك أن تستفيد من الأسباب التى أبداها أصحاب الجنة لدخولهم الجنة، والأسباب التى أبداها أصحاب النار لدخولهم النار .. فالسعيد من وُعظ بغيره.

إنك لا زلت فى فسحة من هذا الأمر وما دامت الأنفاس لا زالت تتردد فى صدرك، فهل تنتهز هذه الفرصة، وتغتنم هذه المهلة .. قبل أن يأتيك اليقين ؟

* اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها.

* وخير أيامنا يوم لقائك.

.. آمين.

obeikandl.com

obeikandl.com

(١٣)

الابتـــلاء والفتنـــة

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تعالى فى سورة العنكبوت :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

[العنكبوت: ١ - ٣].

* إن الحياة الدنيا بالنسبة للبشر ابتلاء أى اختبار مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٢، ٣]. وهذا الابتلاء على مرحلتين.

الأولى : أن الإنسان مخير بين الكفر والإيمان مصداقًا لقوله تعالى لرسوله الكريم: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ .

[الكهف: ٢٩].

الثانية : أن الإنسان المؤمن مخير بين الطاعة والمعصية، فإذا اختار الطاعة فهو مخير بين الإخلاص والرياء، وإذا اختار المعصية فهو مخير بين التوبة والإصرار.

* إن إرادة الله فى استمرار الحياة الدنيا مرتبطة بكونها اختباراً وامتحاناً للإنسان، وهى بهذا الوصف تعنى أن هناك من يؤمن وهناك من يكفر، وهناك من يطيع وهناك من يعصى. فالامتحان لا يكون امتحاناً إلا إذا عرف الممتحن أن هناك من ينجح وهناك من يرسب، ولو تأكد أن كل من سيتقدم للامتحان سوف ينجح ما عقد الامتحان أصلاً. وكذلك الأمر لو تأكد أن الجميع سوف يرسبون. والله سبحانه وتعالى قد علم أزلاً أن مواقف الناس سوف تختلف إزاء اختبار الحياة وسوف يكون منهم من يؤمن ومن يكفر، ومن يطيع ومن يعصى، ومن يحسن ومن يسىء، ولو آمن كل الناس وأطاعوا وأحسنوا ما خلق الله الحياة الدنيا وما بدأها، ولو تحول الأمر وتغير الناموس واختلفت سنة الحياة الدنيا وكفر كل الناس وعصوا وأساؤا يكون ذلك إيذاناً

بانتهاء الحياة الدنيا والدليل على ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» رواه مسلم.

* إن الابتلاء يكون بالخير والشر مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. فالإنسان يبتلى بالغنى والفقر، ويبتلى بالصحة والمرض، ويبتلى بالسلطان وقلة الشأن، ويبتلى بالعطاء والمنع، والمنع أحيانًا يكون عطاءً كقول الصوفية: «أعطاك فمنعك» .. يقصدون بذلك حالة إذا جلب العطاء المعصية وجلب المنع الطاعة .. فيكون المنع في هذه الحالة عطاءً.

وتتفاوت مواقف الناس إزاء الخير والشر، فإن شكروا عند الابتلاء بالخير، وصبروا عند الابتلاء بالشر فقد اجتازوا الاختبار بنجاح، وإن كانت الأخرى فلا يلومون إلا أنفسهم.

* والابتلاء بالخير لا يعني رضاء الله، والابتلاء بالشر لا يعني غضب الله، وقد أوضح الله ذلك في قوله تعالى لمن ظن غير ذلك: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلاَّ ...﴾ [الفجر: ١٥-١٧] لأن رضاء الله - تعالى - يتضح بالشكر عند الابتلاء بالخير، والصبر عند الابتلاء بالشر، فهو الذي يمن على من يرضى من عباده بالشكر والصبر.

ومما يؤكد هذه الحقيقة قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه» رواه البخاري.

وقصص الأنبياء في القرآن الكريم أوضح دليل على ذلك فقد ابتلى نوح عليه السلام بطول عمره مع قوم معاندين وابتلى بزوجته وولده، وابتلى ابراهيم عليه السلام بأبيه والنار التي قذفه فيها قومه وأمره بذبح ابنه إسماعيل، وابتلى أيوب عليه السلام بالمرض، وابتلى يونس عليه السلام بالحوت، وابتلى غيرهم بما قصه الله علينا، وابتلى

خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام بما عرفناه من سيرته العطرة.

* وهذه الابتلاءات الشديدة تتفق مع فهمنا الذى استقر عن الحياة الدنيا، فإذا كان الأنبياء والرسل قممًا إيمانية فلابد أن يكون اختبارهم وامتحانهم على قدر مستواهم الإيمانى الرفيع. وإذا أردنا أن نضرب لذلك مثالاً للتوضيح نقول: أن طالب الابتدائى يمتحن فى جدول الضرب والجمع والطرح والقسمة، أما طالب الجامعة فيمتحن فى المعادلات الرياضية، ولو انعكس الأمر ما صح ذلك.

* لقد استطردنا فى معنى الابتلاء رغم أن الآيات التى أفتتحنا بها الموضوع من سورة العنكبوت تشير إلى الفتنة وليس للابتلاء.

فهل الابتلاء والفتنة مترادفان ؟

وإذا لم يكونا كذلك .. فما الفرق بين الابتلاء والفتنة ؟

قبل أن نبدأ فى الإجابة على هذه الأسئلة نقرر ابتداءً أن الترادف فى كلام البشر، أما كلام الله عز وجل .. فلا ترادف فيه، ولا تصلح كلمة مكان الأخرى لكى تعطى نفس المعنى، وما تفسير المفسرين إلا لاستجلاء المعنى دون مساس بالمبنى.

وإذا تصدينا لهذه الأسئلة بالإجابة وبناءً على التوضيح الذى أوردناه آنفًا، تقول أنه لابد أن يكون للابتلاء معنى، وللفتنة معنى آخر كالتالى.

فالابتلاء : اختبار لا يمكن دفعه ولا اختيار للإنسان فيه كالحياة والموت والرزق قليله وكثيره، والصحة سلمت أو اعتلّت وصدق من قال: لا حيلة فى الرزق ولا شفاعة فى الموت.

أما الفتنة : فهى اختبار يمكن دفعه وللإنسان فيه اختيار.

وإذا رجعنا إلى كتاب الله تعالى سوف يتأكد لنا هذا المعنى.

آيات بينات عن الابتلاء :

* قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ

وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

إن موضوع الابتلاء فى هذه الآية أمور لا يمكن للإنسان دفعها، وليس له اختيار فيها ولكن اختياره يقع بعد حدوثها، فإما يصبر فيؤجر، وإما يجزع ويعترض فيوزر.

* قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[الأنعام: ١٦٥].

تبدأ الآية بتأكيد أن الله «هو» الذى جعل بعضنا فوق بعض درجات ليبتلينا ولا حيلة لنا فى ذلك وحكمته هى التى اقتضت ذلك، فإذا رضينا أجرنا، وإذا سخطنا لن يتغير من الأمر شيء .. وعوقبنا.

والآيات فى هذا الباب كثيرة ونكتفى منها بهذا القدر.

آيات بينات عن الفتنة :

* قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.

[الحديد: ١٤].

النداء من المنافقين على المؤمنين يوم القيامة، ولاحظ قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أى أن هذا كان فعلكم واختياركم لأنفسكم وكان يمكنكم اختيار التى هى أحسن.

* قوله تعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ...﴾ [الأعراف: ٢٧] ونحن نعلم كيف أخرج الشيطان أبوينا من الجنة، لقد أمره الله ـ تعالى ـ بعدم الأكل من الشجرة المحرمة، وأغراه الشيطان بالأكل منها فأكل، وكان

من الممكن أن يمتنع ولم يكن مقهوراً على ذلك فوقع فى المحظور وكان ما كان واستمع إلى قول الله تعالى عما سيقوله الشيطان لمن استجابوا لدعوته: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ...﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* قوله تعالى: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾ [طه: ٤٠].

فقد قتل موسى عليه السلام الرجل المصرى وكان من الممكن ألا يقتله والدليل على ذلك أنه استغفر ربه وتفادى نفس الخطأ فى اليوم التالى بعد أن كاد يقع فيه مرة أخرى.

والآيات فى هذا الباب أيضاً كثيرة ونكتفى منها بهذا القدر.

ونستعيذ بالله مما استعاذ منه الرسول عليه الصلاة والسلام وندعوا معه ونقول :

* «اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن».

* «اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء».

.. آمين.